

الخطبة الثالثة عشرة سيد الاستغفار - اغفر لنا ذنوبنا - كفرنا سياتنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 3 / 102]، ويقول أيضاً: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 4 / 1]، ويقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: 33 / 70-71].

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لقد منَّ الله علينا بمواسم تتضاعف فيها الطاعات ويبارك فيها، كيوم الجمعة ويوم عرفة وشهر رمضان وليلة القدر وعشر ذي الحجة... هناك أيضاً من فضل الله وكرمه أماكن خصها الله تعالى كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، وبيت المقدس، والشواهد على هذا كثيرة... وحيث إننا اليوم في أول ذي الحجة وحيث إن رسول الله ﷺ قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني: أيام العشر، قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء» مسند الإمام أحمد - البخاري في صحيحه عن ابن عباس.

ولو سألنا ما هو الهدف من حياتنا وعملنا وما الذي نريد تحقيقه لكان الجواب

المتفق عليه هو دخول الجنة ... نعم لقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْعُرُورِ﴾ (آل عمران: 3 / 185).

لكن ليس بعض الخطباء يقولون (دون شرح) ما ورد عن النبي ﷺ فيما رواه جابر ﷺ «لا يُدْخِلُ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَمَلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَا يُجِيرُ مِنَ النَّارِ وَلَا أَنَا إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ» رواه مسلم ... إذا كان العمل لا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ وَلَا يُجِيرُ مِنَ النَّارِ وَالْقَضِيَّةُ كُلُّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، إِذَنْ فَلِمَ الْعَمَلُ؟ وَمَاذَا أَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: 16 / 32)، ﴿وَتُودُوا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: 7 / 43)، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: 43 / 72).

قال علماء اللغة: (الباء) في جملة بما كنتم تعملون، هذه باء السبب وليست باء المقابلة ... باء السبب ادخلوا الجنة بسبب الذي كنتم تعملون، أما باء المقابلة فمثالها، اشتريت هذا بهذا، فباء بهذا هي باء المقابلة، فعملك مهما بلغ فإنه لن يكون كافياً لشراء الجنة ... لكن عملك هو مجلبة لرضا الله ورحمته إذا كنت مؤمناً مخلصاً، مجتهداً في مرضاة الله، مداوماً في العمل، وهمك أن تحظى بمرضاة الله، مطبقاً لشرع الله حسب سنة رسول الله ﷺ خائفاً ورجلاً ... هذا العمل بهذه الكيفية تحظى به برحمة الله، وإذا رحمك الله غفر لك ما اذنبت وما قصرت وأدخلك جنته ... وهناك أحاديث تشرح ذلك، وهناك مثال ضربه شيخنا - رحمه الله - فقال: أنت تعمل طول عمرك وتقتصد وتجمع لشراء بيت فخم، لكن مهما اشتغلت ووفرت لا يكفي عُشر ثمن البيت الفخم، ولكن عندما علم صاحب البيت تفانيك وجدك وإخلاصك، قبل منك ما جمعته ووفرت وأعطاك البيت ... أعطاك البيت بفضلته وكرمه ومالك لا يكفي ثمناً له ... والله المثل الأعلى ... أعطاك الجنة فضلاً وكرماً ورحمة وتمنناً منه سبحانه وتعالى ... ولكن هناك قضية وهي أننا مجبولون على الخطأ، والخطأ والنسيان طبيعة فينا ... وقد أخبرنا رسول الله ﷺ:

- كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون. (النسائي - مسند الإمام أحمد - الترمذي - ابن ماجه - المستدرک للحاکم عن أنس).

- كلکم تدخلون الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله. (الطبراني في الأوسط - المستدرک للحاکم عن أبي أمامة).
- لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياکم السماء ثم تُبتم لتاب الله علیکم. (ابن ماجه عن أبي هريرة).
- لو لم تُذنبوا لجاء الله بقوم یذنبون فیغفر لهم. (مسند الإمام أحمد عن ابن عباس).
- لولا أنکم تذنبون لخلق الله خلقاً یذنبون فیغفر لهم. (مسند الإمام أحمد - مسلم - الترمذي عن أبي أيوب).

والسؤال المهم كيف نتخلص من ذنوبنا؟

1. التوبة: لقوله ﷺ: «وخير الخطائين التوابون»، قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 39 / 5]، ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54 / 6]، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118 / 9]، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 82 / 20].

2. الاستغفار:

- إن ربك لي عجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري (رواه أبو داود - الترمذي عن علي).
- إن للقلوب صداً كصداً الحديد وجلاؤها الاستغفار (الحكيم عن أنس).
- إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة (مسند الإمام أحمد - مسلم - أبو داود - النسائي عن الأغر المزني).
- استغفروا ربكم إني أستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مئة مرة (البغوي عن الأغر).
- إني أستغفر الله في اليوم سبعين مرة (الترمذي عن أبي هريرة).
- إني لأتوب إلى الله في اليوم سبعين مرة (النسائي - ابن حبان عن أنس).

- ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله فيها مئة مرة (الطبراني في المعجم الكبير عن أبي موسى).

- إن استطعتم أن تكثروا من الاستغفار فافعلوا فإنه ليس شيء أنجح عند الله ولا أحب إليه منه (الحكيم عن أبي الدرداء).

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الله تعالى أنزل على أمة محمد ﷺ أمانين، «أنزل الله عليّ أمانين لأمتي: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة» الترمذي عن أبي موسى .

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا سَتَغْفِرُونَكَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ [النمل: 27 / 46]، ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: 41 / 6]، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: 47 / 19]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ يُغْفِرْ لَهُ إِنَّ اللَّهَ وَكَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٥﴾ [آل عمران: 3 / 135]، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿١٠﴾ [يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ﴿١٢﴾ [نوح: 71 / 10 - 12].

3. الكفارات:

1. الصدقات ... ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ ﴿٧١﴾ [البقرة: 2 / 271].

2. الإيمان والعمل الصالح ... ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ﴿٢﴾ [محمد: 47 / 2]، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِينِ وَمَنْ يَوْمُنَّ بِاللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٩﴾ [التغابن: 64 / 9].

3. تقوى الله عز وجل ... ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَنْفُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢٩﴾ [الأنفال: 8 / 29]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ ﴿٥﴾ [الطلاق: 65 / 5].

4. الصدق مع الله ... ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ يُكْفِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَجَزَاءُ مَا جَزَاءُ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ [الزمر: 33 - 35].

5. إقامة الفرائض ... ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [المائدة: 12 / 5]، عزرتموهم: نصرتموهم.

6. التوبة النصوح ... ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم: 66 / 8].

- وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الجمعة إلى الجمعة والصلوات الخمس كفارات لما بينهن لمن اجتنب الكبائر» رواه البيهقي.

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «صيام رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما» الطبراني في الكبير.

- وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا، ويزيد به الحسنات، ويكفر به الذنوب؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: إسباغ الوضوء على المكرهات، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط» مسلم.

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: 114 / 11].

- إن عبداً أصاب ذنباً فقال: رب أذنبت فاغفر لي، فقال ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً فقال: رب أذنبت ذنباً آخر فاغفر لي، فقال: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب

ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، ثم أصاب ذنباً فقال: رب أذنبت ذنباً آخر فاغفر لي، قال: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء. (مسند الإمام أحمد - متفق عليه عن أبي هريرة).

- كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى. (البخاري عن أبي هريرة).

والسؤال الآن ما الفرق بين غفران الذنب وتكفير السيئات؟

لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بأن نقول: «ربنا اغفر لنا ذنوبنا - وكفر عنا سيئاتنا» قال أهل العلم: ... (اغفر لنا) أي امحُ وتجاوز عنها، ولا تحاسبنا ولا تؤاخذنا عليها؛ لأن الذنب هو مخالفة وارتكاب لما نهى الله عنه فنطلب من الله غفرانه وتركه ومسامحتنا عما اقترناه ...

أما (تكفير السيئات) فإن السيئات تمحى بالتوبة، والاستغفار وتمحى بالأعمال الصالحة، والتقوى، والإيمان، والصدقات، وإقامة الفرائض، والإتيان بأعمال الخير كما دل على ذلك حديث جابر رضي الله عنه «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويكفر به الذنوب» وعدد الوضوء، وحضور الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ... وهذا من فضل الله علينا، وقال بعضهم: (قولك اغفر لي) هو اعتراف بالذنب، وانكسار لله تعالى ويقين منك بأن الله هو الغفور الرحيم، وإقرار بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله ولا يعاقب على الذنب إلا الله ...

وقولك (كفر عنا سيئاتنا) أيضاً هو اعتراف بالذنب واعتراف بالتقصير وطلب ضمني بأن يقبل الله أعمالك الصالحة؛ لأن الأعمال الصالحة مكفرة، والإيمان، والصدق، والصدقات بأن يقبلها الله منك ويجازيك عليها بأن يكفر عنك سيئاتك ...

وعن أبي قتادة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبله، وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية» مسلم - حم - د ... ألا ترى معي أن صوم يوم عرفة يكفر سنتين ... ونقول: اللهم تقبل منا صلاتنا وصيامنا وقيامنا وأعمالنا

الصالحة ... لأن في تقبلها كفارة لذنوبنا وسيئاتنا ... ثم إن الحدود كفارات ... فمن قطعت يده جزاءً لسرقته فهذا لا يحاسبه الله يوم القيامة على سرقته، ومن جلد جزاءً لزنائه فهذا لا يحاسب يوم القيامة على فعلته ... ومن نِعِمَّ الله علينا ورحمته أن جعل ثواباً كبيراً على أعمال لا تأخذ وقتاً ولا تأخذ جهداً ...

- من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت له ذنوبه وإن كان فارساً من الزحف (المستدرك للحاكم عن ابن مسعود).

- من أذنب ذنباً فعلم أن له رباً إن شاء أن يغفر له غفر له، وإن شاء أن يعذبه عذبه، كان حقاً على الله أن يغفر له. (المستدرك للحاكم - حلية الأولياء لأبي نعيم عن أنس).

- كفارة الذنب الندامة، ولو لم تذبوا لأتى الله بقوم يذنبون فيغفر لهم. (مسند الإمام أحمد - الطبراني في الأوسط عن ابن عباس).

- إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة ولا يهلك على الله هالك. (متفق عليه عن ابن عباس).

- قال الله تعالى: يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا بن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة. (الترمذي والضياء عن أنس).

- طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً (ابن ماجه) عن عبد الله بن بسر حل عن عائشة حم في الزهد عن أبي الدرداء موقوفاً.

- لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار (مسلم عن علي).

واسمع معي إلى هذا الفضل من الله تعالى - فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة» الطبراني في المعجم الكبير.

ولقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هناك سيداً لكل شيء ...

- فعن عبد الله عن أبيه قال انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أنت سيدنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «السيد الله» مسند الإمام أحمد - مسند أبي داود .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سيد الأيام يوم الجمعة» مسند الإمام أحمد - المستدرک للحاكم - مصنف ابن أبي شيبة.

- وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سيد الشهداء حمزة» الحاكم في المستدرک .
- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عليه أفضل الصلاة والسلام قال: «سيد الفوارس أبو موسى» وهو عبد الله بن قيس .

- وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سيد آي القرآن الله لا إله إلا هو الحي القيوم» ابن الأنباري - عبد الرزاق في جامعة .

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن الصحابة أجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سيد الشهور شهر رمضان، وسيد الأيام الجمعة» مصنف ابن أبي شيبة - طب - شعبة الإيمان البيهقي .

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الشهور شهر رمضان، وأعظمها حرمة ذو الحجة» البزار - شعبة الإيمان البيهقي .

ولكن ما أنا بصده وهو التوبة، والاستغفار، والمكفرات ... فقد وجدت أن (سيد الاستغفار) هو هذا الحديث الذي أريد أن أبسط الكلام فيه وهو:

«سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا،

فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» حم - خ - ن عن شداد أوس.

فالحمد لله على فضله وكرمه وامتته

قوله ﷺ: **«اللهم»** فهي جماع أسماء الله الحسنی كلها، وقولك اللهم كأنك استجرت بأسمائه سبحانه وتعالى كلها ...

وقوله ﷺ: **«أنت ربي»** فهو توحيد الربوبية واعتراف بأن الله هو الرب وهو المالك، ولا رب لي سواه سبحانه.

وقوله ﷺ: **«لا إله إلا أنت»** فهو توحيد الألوهية ومعناها أنه لا يُعبد إلا الله، فالله هو الإله المعبود، والشرط الثاني من توحيد الألوهية بأن الإله هو المشرع ... ومعناها أن الإله هو المعبود ولا يُعبد إلا بما شرَّع، فلا خالق إلا الله ولا معبود إلا الله ولا مشرِّع إلا الله ولا يُعبد الله إلا بما شرَّع، ولذلك يقول العلماء: «العبادات توقيفية» ومعنى هذا أن كل عبادة يلزمها نص شرعي في وجوبها وفي تطبيقها وفي ثوابها ... ومن هنا دخلت البدع والضلالات في القراءات وفي الصلوات وفي الأذكار وما إلى ذلك، لا بد من نص ولا يُعبد إلا بما نص الله عليه أو سنَّه رسوله ﷺ.

قوله ﷺ: **«خلقتني وأنا عبدك»** اعتراف بأن الله هو خالقي وخالق كل ما يخصني، واعتراف بأنه لا خالق معه ولا شريك معه ولا معين معه، أنت خلقتني وأنا عبدك ... لا أعبد سِوَاكَ، ولا أطيع سِوَاكَ، ولا أحب سِوَاكَ، ولا أخاف سِوَاكَ، ولا أرجو ولا أتوسل ولا أستعين ولا أسأل ولا أتوكل ولا أسبح ولا أحمد سِوَاكَ، كل هذه الأبواب هي من أبواب العبودية، العبودية العقديَّة، العبودية القلبية، العبودية الجسدية، العبودية المالية، كلها لله وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 1] / 5 جمعت ذلك كله.

«وأنا على عهدك» أي العهد الذي أخذته علينا ونحن في أصلاّب آبائنا ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ

الْفَيْمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف: 7 / 172]، نحن على هذا العهد في أن الله ربنا وهو إلهنا وهو معبودنا إليه المرجع وإليه المآل.

ونحن على وعدك، قوله: «**ووعدك**» فسرته حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال له عليه الصلاة والسلام: «يا معاذ بن جبل هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ فإن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» ق - حم - ت - هـ.

قوله رضي الله عنه: «**ما استطعت**» قالوا إن الأصل في الشريعة قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 2 / 286]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: 64 / 16]، وهذا من فضل الله علينا ورحمته بأنه لم يكلفنا فوق قدرتنا ولا فوق طاقتنا فله سبحانه الحمد والمِنَّة والثناء الجميل.

قوله رضي الله عنه: «**أعوذ بك من شر ما صنعت**» نعم يا ربي أعوذ بك، ألتجئ إليك، أطلب منك العون على ضعفي وجهلي وشر صنيعتي، لا تؤاخذني ولا تعاقبني فإني ضعيف أمام حظ النفس وحظ الدنيا وشهواتي، أعوذ بك ألتجئ إليك في أن تغفر لي وتعيني على شر نفسي وضعفها، وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا معاذ هل تدري ما تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله... لا حول عن معصية الله إلا بقوة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله، يا معاذ هكذا حدثني جبريل عن رب العزة» رواه الديلمي.

قوله رضي الله عنه: «**أبوء لك بنعمتك علي**» أترف وأقر بأن كل نعمة عندي هي منك ومن فضلك وكرمك... وشكر النعمة يستوجب:

1. أن تعترف بالمُنعم والذي هو الله سبحانه وتعالى.
2. أن تنفي عنه سبحانه الشريك أو المعين.
3. أن تتجرد من حظ نفسك كما قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: 28 / 78]، وتتجرد من حولك وقوتك.

4. أن ترى هذه النعمة وتراعي حق الله وحق الناس فهذا شكر الفعل.
5. وأما شكر اللسان فيجب أن يكون دائماً... فعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله» مسند الإمام أحمد - الترمذي - ابن ماجه - المستدرک للحاکم - ابن حیان

قوله: «أبوء بذنبي» أقر وأُعترف بذنوبي، وهذا انكسار بين يدي الله تعالى وقد عَلَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى آدم كيفية الاعتذار عن ذنبه وتعليم الله تعالى لآدم في سورة البقرة ﴿فَلَقَّآءَآدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 2 / 37]، ما هي هذه الكلمات التي علمه الله إياها؟ وردت في سورة الأعراف آية (23) ﴿فَالرَّيْبَانَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 7 / 23]، اعتراف بالذنب وانكسار وذل بين يدي الله سبحانه وتعالى... وقد أثنى الله على الثلاثة الذين إعترفوا بذنوبهم بعدم الخروج مع رسول الله ﷺ في غزوه تبوك فقال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 9 / 102].

قوله: «فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» اغفر لي لأن الله هو الغفور الرحيم، اغفر لي لأن الله غفار ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: 20 / 82].

كلمة غفار وردت أربع مرات في القرآن الكريم:

- كلمة (غفاراً) وردت مرة واحدة ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10 / 71].

- كلمه (غافر) وردت مرة واحدة ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: 3 / 40].

- (الغفور الرحيم) وردت (6) مرات في القرآن الكريم.

- (غفور رحيم) وردت (57) مرة في القرآن الكريم.

- (لغفور رحيم) وردت (8) مرات في القرآن الكريم.

قوله ﷺ: «**فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» اعتراف بأن الله سبحانه هو الذي يغفر، ولا يغفر غيره سبحانه، والمغفرة والغفران من اختصاص الإله فقط فالاعتراف بهذا والإقرار به يكون من أبواب التوحيد... لأنه إذا لا يغفر إلا الله، فلا يمكن سؤال غيره ولا التضرع لغيره ولا الخوف من غيره ولا الرجاء لغيره ولا مقاضاة إلا منه سبحانه... وهذا كله توحيد...

قوله ﷺ: «**من قالها في نهاره أو ليله**» معناه الالتزام بها وترديدها وتجديد العهد وتذكير النفس، ومناجاة الله سبحانه وتعالى والإقرار والاعتراف بالتوحيد، اعتراف بالذنب، والاعتراف بالنعمة، والاستعاذة بالله، وطلب المغفرة من الله يومياً وتمجيد الله، والانكسار بين يدي الله.

قوله ﷺ: «**موقناً بها**» أي موقناً بأركان التوحيد كلها كما ذكرت وبأنواعه، موقناً بأنواع العبادة كلها التي ذكرها الله، موقناً تحمّل في طياتها اليقين، والإخلاص، وعدم الشك، والعلم بمعناها، والقبول، والانقياد، والاستسلام لله تعالى ولشرعه، والصدق مع الله، والمحبة لله تعالى ولرسوله ولشرعه... وهذه شروط لا إله إلا الله السبعة والتي اتفق العلماء عليها...

- من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة. (النسائي عن أبي هريرة).

- لا يلج النار رجل يبكي من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله، ودخان جهنم في منخري مسلم أبداً. (مسند الإمام أحمد - الترمذي - النسائي - المستدرک للحاكم عن أبي هريرة).

- إن التوبة تغسل الحوبة، وإن الحسنات يذهبن السيئات وإذا ذكر العبد ربه في الرخاء أنجاه الله في البلاء، وذلك لأن الله يقول: لا أجمع لعبدي أبداً أمينين، ولا أجمع له خوفين، إن هو آمنني في الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمته يوم أجمع فيه عبادي في حظيرة القدس، فيدوم له أمنه، ولا أمحقه فيمن أمحق. (حلية الأولياء لأبي نعيم عن شداد بن أوس).

- عليك بتقوى الله ما استطعت! واذكر الله عند كل حجر وشجر، وإذا عملت سيئة فأحدث عندها توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية. (مسند الإمام أحمد في الزهد، الطبراني في الأوسط عن معاذ).
- لك في كل كبد حري أجر. (الطبراني في المعجم الكبير عن فحول السلمي).
- بينما كلب يطوف بركية كاد يقتله العطش. إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به (متفق عليه عن أبي هريرة).
- من صام رمضان وصلى الصلوات وحج البيت كان حقاً على الله أن يغفر له إن هاجر في سبيل الله أو مكث بأرضه التي ولد بها. (الترمذي عن معاذ).
- ما عمل ابن آدم شيئاً أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخلق حسن (التاريخ للبخاري - شعبة الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة).
- أحدثكم حديثاً، ثلاثاً أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عز وجل بها عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح له باب فقر. (الطبراني في الأوسط عن أبي كبشة الأنماري).
- الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك. (مسند الإمام أحمد البخاري عن ابن مسعود).
- ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد به الحسنات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ما منكم من رجل يخرج من بيته متطهر، يصلي مع المسلمين الصلاة ثم يجلس في المسجد ينتظر الصلاة الأخرى إلا أن الملائكة تقول: اللهم اغفر له! اللهم ارحمه! فإذا قمتم إلى الصلاة فاعدلوا صفوفكم وأقيموها وسدوا الفرج فإني أراكم وراء ظهري، وإذا قال إمامكم: الله أكبر، فقولوا: الله أكبر، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، وإن خير الصفوف صف الرجال المقدم وشرها المؤخر، وخير صفوف النساء المؤخر وشرها المقدم،

يا معشر النساء إذا سجد الرجال فاغضضن أبصاركن ولا ترين عورة الرجال من ضيق الأزر (مسند الإمام أحمد، وعبد بن حميد، والدارمي، وابن جرير، وابن خزيمة، ابن حيان، المستدرک للحاكم، سعيد بن منصور في سننه - عن أبي سعيد).

- إن شئت أنبأتك عن أبواب الخير: الصوم جنة، وغيره أملك بالناس منه الصدقة تمحو الخطيئة، وغيرها أملك بالناس منها، قيام في جوف الليل تبتغي به رضى ربك، فإن الله تعالى يقول ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: 32 / 16] (محمد بن نصر في الصلاة عن معاذ بن جبل).

- ألا أخبركم بخياركم! من لان منكبه، وحسن خلقه، وأكرم زوجته إذا قدر (ابن لآل في مكارم الأخلاق من طريق بشر بن الحسين الأصبهاني عن الزبير بن عدي عن أنس).

- ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة! من وصل من قطعه، وعفا عمن ظلمه، وأعطى من حرمه (الطبراني في الأوسط - عن كعب بن عجرة).

- من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله دنياه (ك في التاريخ - عن ابن عمرو).

- من أصبح صائمًا، من عاد مريضًا، من شيع جنازة، من جمعهن في يوم دخل الجنة (الطبراني في الأوسط، مسند أبي يعلى - عن ابن عباس).

- من أقام الصلاة وآتى الزكاة ومات لا يشرك بالله شيئًا كان حقًا على الله أن يدخله الجنة هاجر أو مات في مولده، قالوا: يا رسول الله! ألا تبشر به أصحابك؟ قال: دعوا الناس فليعملوا، فإن في الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله لمجاهدين في سبيله، ولو لا أشق على الناس بعدي ما تخلفت عن سرية أبعثها ولكن لا يجدون سعة فيتبعوني، ولا يطيب أنفسهم أن

يتخلفوا بعدي، ولا أجد ما أفضل به عليهم، ولوددت أن أغزو فأقتل ثم أحيى، ثم أغزو فأقتل، ثم أحيى ثم أقتل (الرويانى وابن عساكر، ص - عن أبي ذر، ن، طب، ك - عن أبي الدرداء).

- من أوتي ثلاثاً فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود: خشية الله في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى (ابن النجار - عن أبي ذر).

- ثلاث من كنوز البر: إخفاء الصدقة، وكتمان المصيبة، وكتمان الشكوى، يقول الله: إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر لم يشكني إلى عواده ثم برأته أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، وإن أرسلته، أرسلته، ولا ذنب له، وأن توفيته توفيته إلى رحمتي (الطبراني في الأوسط، المستدرک للحاكم عن أنس).

- ثلاثة كلهم ضامن على الله إن عاش رزق وكفي، وإن مات أدخله الله الجنة: رجل خرج غازياً في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخل الجنة أو رده بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخل الجنة أو رده بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله (أبو داود، ابن حيان، وابن السني في عمل يوم وليلة، الطبراني في الأوسط، المستدرک للحاكم، متفق عليه، سعيد بن منصور في سننه - عن أبي أمامة).

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

اللهم أخلص أعمالنا إليك وأحسن وقوفنا بين يديك، ولا تخزننا يوم العرض عليك ...

اللهم آمين، اللهم آمين، اللهم آمين.

